ماذا يبحث العلم ؟

هل الفرضية علم ؟ وهل المعاينة علم ؟

البشير معمرية –أستاذ القياس النفسي ومناهج البحث النفسي (سابقا)
جامعتا الحاج لخضر . باتنة، ومحمد الأمين دباغين . سطيف
psypsypsy2017@gmail.com

أولا : ماذا يبحث العلم ؟
سؤال جدير بالإجابة. لأنه من هنا تكون البداية.

وللإجابة عن هذا السؤال، لا بد من المرور بعمليات متدرجة في أهميتها، من أقلها أهمية، ولكنها بداية ضرورية، إلى أكبرها أهمية وهي النهاية، ولكنها ليست النهاية، لأن البحث العلمي لا يتوقف، ولا ينتهي

أولا : يبدأ أي بحث علمي بما هو "مهم"، حين يدرك الباحث ظواهر وأحداثا ووقائع على شكل حقائق.

ثانيا : ثم يأتي، بعد ذلك، ما هو "أهم"، وهو جمع المعلومات "حقائق" عن الظواهر والأحداث والوقائع، التي تمت ملاحظتها

يسير الباحث العلمي في هذا الطريق من أجل "بناء مفهوم"، وتسمى مفاهيم العلم "المفاهيم البنائية". لأنها تبنى من خلال جمع الحقائق التي ترتبط فيما بينها ارتباطا موجبا حقيقيا

يأتي "الأهم" في الأخير، وليس في النهاية، وهو وضع تعريفات بنائية أو تأسيسية، وتعريفات

أولا : ماذا يبحث العلم ؟

سؤال جدير بالإجابة. لأنه من هنا تكون البداية.

وللإجابة عن هذا السؤال، لا بد من المرور بعمليات متدرجة في أهميتها، من أقلها أهمية، ولكنها بداية ضرورية، إلى أكبرها أهمية وهي النهاية، ولكنها ليست النهاية، لأن البحث العلمي لا يتوقف، ولا ينتهي.

أولا : يبدأ أي بحث علمي بما هو "مهم"، حين يدرك الباحث ظواهر وأحداثا ووقائع على شكل حقائق.

ثانيا : ثم يأتي، بعد ذلك، ما هو "أهم"، وهو جمع المعلومات "حقائق" عن الظواهر والأحداث والوقائع، التي تمت ملاحظتها، فيتم التعرف على الحقائق التي ترتبط فيما بينها، والحقائق التي تستقل عنها. (هكذا قال الفيلسوف الاستقرائي، الإنجليزي/ فرانسيس بيكون Francis Bacon في القرن السابع عشر). ويسير الباحث العلمي في هذا الطريق من أجل "بناء مفهوم"، وتسمى مفاهيم العلم "المفاهيم البنائية". لأنها تبنى من خلال جمع الحقائق التي ترتبط فيما بينها ارتباطا موجبا حقيقيا. فالحقائق كأنها لبنات لبناء المفهوم. كيف ذلك. يلاحظ الباحث النفسي الاستجابات السلوكية الآتية، بصفتها حقائق، لدى بعض الأشخاص : الأعصاب المشدودة، والخوف من أحداث مجهولة، وتوقع أحداث مزعجة، ويلاحظ لديهم كذلك، حقائق أخرى : الحركات العصبية، والتوتر، وعدم الارتياح، والنرفزة، ثم يلاحظ استجابات سلوكية أخرى (حقائق)، ترتبط بالاستجابات السلوكية السابقة، وعند دراستها علاقيا، يجد أنها ترتبط فيما بينها ارتباطا موجبا وحقيقيا، ومع الاستعانة بمصادر أخرى، يصل إلى أن الاستجابات السلوكية السابقة يتميز بها "الأشخاص القلقين". وبهذه الطريقة يتوصل إلى "بناء مفهوم القلق". ويجد من ناحية أخرى، أن الاستجابات السلوكية السابقة ترتبط تعارضيا مع استجابات سلوكية أخرى، مثل الشعور بالأمن، الاطمئنان، الشعور بالهناء، الشعور بالرضا، راحة البال، الشعور بالهدوء، توقع أحداث حسنة، مما يؤيد النتيجة التي توصل إليها عند سعيه إلى "بناء مفهوم القلق".

ويلاحظ كذلك الاستجابات السلوكية الآتية (حقائق) : تجنب الإثارة الاجتماعية، التأني والتردد

قبل الإقبال على أي تصرف، البطء في الحركة، تفضيل البقاء في المنزل على الذهاب إلى حفل، قلة المعارف والأصدقاء، قلة الحيوية والنشاط، التوتر في موقف اجتماعي، ومع الاستعانة بمصادر أخرى، يصل إلى أن الاستجابات السابقة تشير إلى سمة الانطواء، فيتوصل إلى "بناء مفهوم الانطواء".

ويلاحظ كذلك حقائق مناخية وفلكية : انخفاض درجة الحرارة، تلبد السماء بالغيوم يوميا، سقوط أمطار وثلوج وجليد، فترة الليل أطول من فترة النهار، مع ملاحظة استجابات سلوكية محددة : ارتداء ملابس ثقيلة، البحث عن الدفء، العودة مبكرا إلى البيت، قلة الأنشطة الترفيهية الجماعية، ومع ربط هذه الحقائق ببعضها، يبني منها "مفهوم فصل الشتاء"، ويلاحظ أن الحقائق المناخية والفلكية، والاستجابات السلوكية في فصل الشتاء، لا تحدث في الفصول الأخرى.

ثالثا : ويأتي "الأهم" في الأخير، وليس في النهاية، وهو وضع تعريفات بنائية أو تأسيسية، وتعريفات إجرائية لتلك المفاهيم والمصطلحات والمتغيرات.

والآن وصلنا إلى الإجابة عن السؤال الذي هو عنوان هذا المقال الصغير، ماذا يبحث العلم ؟ إن العلم "يبحث المفاهيم"، التي ينبغي الاهتمام بها قبل أي عنصر آخر في البحث العلمي، وتحديدها جيدا قبل إخضاعها لإجراءات البحث العلمي.

ثانيا : هل الفرضية علم ؟ وهل المعاينة علم ؟

إن الباحثين في جامعاتنا، أساتذة وطلبة، مع الأسف الشديد، مصابون بهوس الفرضيات. بشكل ملفت للانتباه؛ يبدؤون بها بحوثهم. كما يسجلونها في معظم أعمالهم البحثية، سواء كانت مطلوبة للبحث وتلائم طبيعته أم لا.

. بمجرد أن يفكر الباحث في موضوع يبحثه. يصرح بفرضياته.

. بمجرد أن يضع الباحث عنوان بحثه. يصرح بفرضياته.

. ويضعون الفرضيات كذلك، في مقدمة أدوات القياس التي يرسلونها إلى المحكمين.

. ويضعونها كذلك، عندما يكونون بصدد بناء برنامج إرشادي.

إن البحث العلمي لا يبدأ بفرضية، لأن الفرضية تشير إلى توقع الحل، والبحث العلمي لا يبدأ بحل، بل يبدأ بمشكلة. (رغم أن الأمر يختلف عند كارل بوبر).

ولا تعد الفرضية علما، بل طريقة اختبارها هي التي تعد علما أو ليست علما.

ولا تعد الفرضية علما، لأن الناس يستعملونها يوميا خارج البحث العلمي لاختبار توقعاتهم لحلول معينة لمشكلاتهم، أو توقعاتهم لوقوع أحداث معينة.

إن مفاهيم التحليل النفسي، التي وضعها فرويد، رغم انتشارها بين الناس، علماء وغيرهم، ورغم شعبيتها وعالميتها، مثل : الليبيدو، الكبت، اللاشعور، الحتمية النفسية، الهو، والأنا، والأنا الأعلى، ومراحل النمو النفسي/ الجنسي، وعقدتا أوديب وئلكترا وغيرها، وكذلك المفاهيم التي

إجرائية لتلك المفاهيم والمصطلحات والمتغيرات

ماذا يبحث العلم ؟ إن العلم "يبحث المفاهيم"، التي ينبغي الاهتمام بها قبل أي عنصر آخر في البحث العلمي، وتحديدها جيدا قبل إخضاعها لإجراءات البحث العلمي.

إن الباحثين في جامعاتنا، أساتذة وطلبة، مع الأسف الشديد، مصابون بهوس الفرضيات. بشكل ملفت للانتباه؛ يبدؤون بها بحوثهم. كما يسجلونها في معظم أعمالهم البحثية، سواء كانت مطلوبة للبحث وتلائم طبيعته أم لا.

إن البحث العلمي لا يبدأ بفرضية، لأن الفرضية تشير إلى توقع الحل، والبحث العلمي لا يبدأ بحل، بل يبدأ بمشكلة

لا تعد الفرضية علما، بل طريقة اختبارها هي التي تعد علما أو ليست علما.

منذ أن ظهر التحليل النفسي إلى اليوم، وهو واقع تحت حكم : أنه ليس علما، لأن فرضياته لم تختبر بالطريقة العلمية (كالتجريب، مثلا)، أو أي طريقة بحث تتميز بالموضوعية، والقياس الكمي، والقابلية لإعادة بحثها

لقد شعر فرويد بوجود مشكلة، وهي : ما السبب وراء الإصابة بالمرض النفسي، وخاصة الهستيريا ؟
– افترض حلا للمشكلة، وهو وقوع كبت لإغواءات جنسية وقعت في مرحلة الطفولة

إن الطريقة التي اتبعها فرويد لاختبار فرضيته أو فرضياته، لم تتسم بالموضوعية، لقد كانت

وضعها، محللون نفسيون آخرون، مثل يونغ وأدلر وإريكسون وهورني وغيرهم، كلها مجرد فرضيات، غير قابلة للاختبار، ومنذ أن ظهر التحليل النفسي إلى اليوم، وهو واقع تحت حكم : أنه ليس علما، لأن فرضياته لم تختبر بالطريقة العلمية (كالتجريب، مثلا)، أو أي طريقة بحث تتميز بالموضوعية، والقياس الكمي، والقابلية لإعادة بحثها.

– لقد شعر فرويد بوجود مشكلة، وهي : ما السبب وراء الإصابة بالمرض النفسي، وخاصة الهستيريا ؟

– افترض حلا للمشكلة، وهو وقوع كبت لإغواءات جنسية وقعت في مرحلة الطفولة.

– وقام بالمعاينة، أي جمع معلومات عن الحل الذي افترضه من عدد كبير من الأشخاص، وهم المرضى نفسيا الذين استقبلهم في عيادته.

– إن الإجراءات الثلاثة السابقة سليمة جدا، ولكنها ليست علما، لأن أي شخص يمكن أن يقوم بها، وفي نفس الوقت لم تقدم أي نتيجة محل ثقة.

– وما الذي حدث بعد ذلك، وهدم كل ما سيق من إجراءات ؟ إن الطريقة التي اتبعها فرويد لاختبار فرضيته أو فرضياته، لم تتسم بالموضوعية، لقد كانت تتسم بالذاتية، لم يستعمل فيها القياس الكمي، ولا يمكن إعادة بحثها من باحث آخر أو من باحثين آخرين. فرويد، فقط، هو الذي يستطيع إعادة بحثها، مرة أخرى، وبالتالي، فإن النتائج التي تحدث عنها في نظريته، أو نظرياته، كان مصدرها الخيال والتخمين، فقط (الذاتية).

وخلاصة القول، لم يقدم فرويد أي دليل موضوعي على أن الإغواء الجنسي في مرحلة الطفولة (السنوات الخمس الأولى)، هو السبب في الإصابة بالمرض النفسي.

ليس هدفي من هذه المقالة، هو نقد نظرية فرويد في التحليل النفسي، بل اتخذت عمله كمثال فقط، لأشرح الفكرة التي أريد توضيحها، واعتقدت أن نظرية التحليل النفسي، ومخالفتها للمنهج العلمي، تصلح كمثال، بهدف توضيح دور الفرضية والمعاينة في البحوث العلمية، وفي الوقت نفسه، أسعى إلى محاربة الجهل المطبق، والمخيف، السائد لدى كل باحثينا، ولا أقول معظمهم، حول دور الفرضية في البحث العلمي.

إن الفرضية ليست علما، ولا تقدم علما في غياب الطريقة العلمية عند اختبارها.

إن العلم هو المنهج، الذي يتسم بالموضوعية، وبالقياس الكمي، وقابلية إجراء البحث مرة أخرى أو مرات كثيرة من نفس الباحث أو من باحث آخر، في أي زمان وفي أي مكان.

وأدعو الباحثين إلى حمل الشعار الآتي، والعمل به : "لا علم دون منهج علمي".

إن المنظرين الثلاثة الكبار في عوامل الشخصية، وهم : ايزنك (انجلترا)، جلفورد، كاتل (أمريكا)، كانوا يعيدون إجراء بحوثهم العاملية في إنجلترا وفي أمريكا بالتبادل، فكانوا يطلبون من بعضهم البعض إرسال البيانات من أمريكا إلى إنجلترا ومن إنجلترا إلى أمريكا، لإعادة تحليلها عامليا وفق طريقة التحليل العاملي ومستوياته في كل بلد، بهدف معرفة عدد عوامل الشخصية

تتسم بالذاتية، لم يستعمل فيها القياس الكمي، ولا يمكن إعادة بحثها من باحث آخر أو من باحثين آخرين

فرويد، فقط، هو الذي يستطيع إعادة بحثها، مرة أخرى، وبالتالي، فإن النتائج التي تحدث عنها في نظريته، أو نظرياته، كان مصدرها الخيال والتخمين، فقط (الذاتية).

لم يقدم فرويد أي دليل موضوعي على أن الإغواء الجنسي في مرحلة الطفولة (السنوات الخمس الأولى)، هو السبب في الإصابة بالمرض النفسي

ليس هدفي من هذه المقالة، هو نقد نظرية فرويد في التحليل النفسي، بل اتخذت عمله كمثال فقط، لأشرح الفكرة التي أريد توضيحها

في الوقت نفسه، أسعى إلى محاربة الجهل المطبق، والمخيف، السائد لدى كل باحثينا، ولا أقول معظمهم، حول دور الفرضية في البحث العلمي.

إن العلم هو المنهج، الذي يتسم بالموضوعية، وبالقياس الكمي، وقابلية إجراء البحث مرة أخرى أو مرات كثيرة من نفس الباحث أو من باحث آخر، في أي زمان وفي أي مكان

إن المنظرين الثلاثة الكبار في عوامل الشخصية، وهم : ايزنك (انجلترا)، جلفورد، كاتل (أمريكا)، كانوا يعيدون إجراء بحوثهم العاملية في إنجلترا وفي أمريكا بالتبادل

أبيّن أيضا، أن اتباع الباحث للتفكير الاستقرائي، فيما يتعلق بالمعاينة، لأن المعاينة استقراء،

وأسمائها ومستوياتها، التي توصل إليها كل باحث في بلده.

وتم إعادة إجراء البحوث على عامل العصابية، كما قال به ايزنك، في بلدان ومجتمعات كثيرة، بهدف اختبار مدى عالميته. وتم كذلك، إعادة إجراء البحوث في مجتمعات عديدة، لاختبار مدى عالمية "مراحل النمو المعرفي" التي قال بها بياجي في بحوثه على أطفال مدينة جنيف.

وفي سياق الحديث عن العلم، أبيّن أيضا، أن اتباع الباحث للتفكير الاستقرائي، فيما يتعلق بالمعاينة، لأن المعاينة استقراء، لا يعتبر علما كذلك، لأن المحللين النفسيين، استنتجوا أفكارهم من عشرات أو من مئات المرضى، الذين استقبلوهم في عياداتهم وسمعوا منهم، وهم يتحدثون عن مشكلاتهم وصراعاتهم، فأسسوا من تلك الأحاديث مفاهيمهم ونظرياتهم، ولكن هذا كله ليس علما، ما دام لم يخضع للطريقة العلمية.

تابعوا سير البحث بالطريقة العلمية في الخطوات الآتية.

1. يبدأ أي بحث علمي بالشعور بوجود مشكلة. والمشكلة في البحث العلمي، هي سؤال عن ظاهرة ما، لا توجد لدى الباحث إجابة عنه، فيما يتوفر لديه من معلومات، قبل إجراء البحث.

2. بعد الشعور بمشكلة بحثية، يشرع الباحث في جمع المعلومات حولها، لتحليلها، من أجل التعرف عليها.

3. بعد التعرف على المشكلة، يقوم الباحث بتحديدها، من خلال صياغة فنية، على شكل سؤال أو أسئلة، تتضمن متغيرات البحث.

4. وبعدئذ، يجوز للباحث أن يضع فرضية أو فرضيات، بصفتها حلا أو حلولا مؤقتة لمشكلة البحث.

5. وبعد صياغة الفرضية أو الفرضيات، يشرع الباحث في إجراء البحث لاختبار قبولها أو رفضها. (وهنا قد ينتج الباحث علما إذا اتبع الطريقة العلمية، في اختبار الفرضية، وقد لا ينتج علما إذا لم يتبع الطريقة العلمية).

هكذا تكون خطوات البحث العلمي كما حددها الفيلسوف والمفكر الأمريكي، جون ديوي، في كتابه : "كيف نفكر How we think"، سنة 1910.

وكما تلاحظون، فإن عملية إجراء بحث علمي تنتقل من مرحلة إلى مرحلة، ومن عملية إلى أخرى، بتتابع منطقي.

وتستعمل الفرضية أو الفرضيات في البحث العلمي في حالة واحدة فقط. عندما تكون لدى الباحث مشكلة في حاجة إلى حل. وإذا غابت الفرضية من بحث علمي ما، لا يفقد ذلك البحث طابعه العلمي.

إن معيار تفوّق الباحث وتمكنه في أي علم من العلوم، ليس هو العثور على حلول لمشكلات (فرضيات)، بل العثور على مشكلات. وبعد ذلك قد يستغرق الباحث العلمي وقتا طويلا، قد يصل

لا يعتبر علما كذلك، لأن المحللين النفسيين، استنتجوا أفكارهم من عشرات أو من مئات المرضى

يبدأ أي بحث علمي بالشعور بوجود مشكلة. والمشكلة في البحث العلمي، هي سؤال عن ظاهرة ما، لا توجد لدى الباحث إجابة عنه، فيما يتوفر لديه من معلومات، قبل إجراء البحث.

بعد الشعور بمشكلة بحثية، يشرع الباحث في جمع المعلومات حولها، لتحليلها، من أجل التعرف عليها

بعد التعرف على المشكلة، يقوم الباحث بتحديدها، من خلال صياغة فنية، على شكل سؤال أو أسئلة، تتضمن متغيرات البحث

يجوز للباحث أن يضع فرضية أو فرضيات، بصفتها حلا أو حلولا مؤقتة لمشكلة البحث.

بعد صياغة الفرضية أو الفرضيات، يشرع الباحث في إجراء البحث لاختبار قبولها أو رفضها

هكذا تكون خطوات البحث العلمي كما حددها الفيلسوف والمفكر الأمريكي، جون ديوي، في كتابه : "كيف نفكر How we think"، سنة 1910.

تستعمل الفرضية أو الفرضيات في البحث العلمي في حالة واحدة فقط. عندما تكون لدى الباحث مشكلة في حاجة إلى حل. وإذا غابت الفرضية من بحث علمي ما، لا يفقد ذلك البحث طابعه العلمي

إن معيار تفوّق الباحث وتمكنه

في أي علم من العلوم، ليس هو العثور على حلول لمشكلات (فرضيات)، بل العثور على مشكلات

إلى سنوات، وهو يبحث عن فرضية معقولة (حل).

والعثور على مشكلات أو "الحساسية للمشكلات"، من أهم الخصائص التي يتميز بها المبدعون. وفق نظرية السيكولوجي الأمريكي/ جلفورد (1950). في سيكولوجية الإبداع.

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/Doc.Maamria-WhatDoesScSeek.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2022 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الحادي عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 19 على الويب

22 عاما من الكدح... 19 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2022 (الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة)

التحميل من الموقع العلمي
http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2022

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميّز" / "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي "
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

*** *** ***

شاركونا اعمالنا على صفحاتكم للتواصل الاجتماعي....

معا يصل صوتنا ومعكم نذهب أبعد...

معا نرقى بانساننا، فترقى مجتمعاتنا فأوطاننا، فامتنا

*** *** ***

"نحو لياقة نفسانية أفضل لحياة طيّبة"

الصفحة العلمية للدكتور جمال التركي

تسجيل الاشتراك
www.facebook.com/turky.PsyFitness